حوار مع

أ.د .الشاهد البوشيخي[1]

«دراسة المصطلح القرآني:قراءة في المُنجز،وآفاق المستقبل»

حاوره: د. مصطفى فوضيل[2] - وأ. يوسف عكراش[3]

An interview with Prof. Dr. Chahed Bouchikhi Studying the Qur'anic Term:"Reading in the Achievement and Future Prospects":

By:

Mustafa Foudel - Youssef Aakrache

(1) أ. د. الشاهد البوشيخي: من علماء المغرب، صحب القرآن الكريم من صغره من الكتاب حتى الجامعة، ومن الدراسة والتدريس حتى الإشراف على الرسائل الجامعية والتأليف، رئيس سابق لوحدة القرآن والحديث وعلومهما ووحدة مصطلحات القرآن والحديث وعلومهما في الماجستير والدكتوراه بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب ظهر المهراز بفاس، وأشرف على عديد من الرسائل الجامعية في الدراسات القرآنية وغيرها، ومشرف على عدة مشاريع علمية منها: الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم، وله عدد من المؤلفات منها: نظرات في الهدى المنهاجي، ودراسات مصطلحية، وهو الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع).

(2) د. مصطفى فوضيل: باحث في الدراسات القرآنية، مهتم بالمصطلح القرآني، خبير مصطلحي لدى معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، محكّم لدى عدد من المؤسسات والجامعات والمجلات، مشارك في عدد من المؤتمرات والندوات المحلية والدولية، له مجموعة من البحوث المنشورة في مجلات محكمة منها: نظرات مصطلحية في مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، توظيف المفاهيم القرآنية في تحقيق الوحدة الإسلامية، وهو المدير التنفيذي لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع).

(3) أ. يوسف عكراش: باحث في التفسير وعلوم القرآن، وأستاذ بالأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بالمملكة المغربية، نشرت له العديد من الأعمال العلمية ضمن مراكز وكتب ومجلات علمية محكمة محلية ودولية، منها: الرؤية الاستشرافية للوحي القرآني نظرية النبوغ نموذجا: دراسة تحليلية نقدية، التجديد في التفسير نظرة في المستويات والمنطلقات والضوابط، الأسس المنهجية والمعرفية لدراسة المصطلح القرآني، أهمية تحقيق التكامل المعرفي عند المفسر في ظل المعرفة المعاصرة.

بداية نرحب بكم حضرة **الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي**، ونشكر لكم قبول دعوة **دورية نماء** لإجراء هذا الحوار العلمي.

مما لا يخفى على فضيلتكم أن الاعتناء بالمصطلحات القرآنية هو النواة الأولى لفهم القرآن الكريم، والطريق الأقوم لبلوغ مراد الشارع الحكيم. وقد بذلت جهود وما زالت تبذل، من أفراد ومؤسسات، قديمًا وحديثًا، في خدمة تلك المصطلحات من زوايا متعددة، ومناهج متنوعة، ومشاريع علمية رائدة.

وفي ضوء ذلك توجهنا إلى فضيلتكم في هذا الحوار الموسوم بـ: (**دراسة المصطلح القرآني: قراءة في المنجز، وآفاق المستقبل**) الذي تضمن مجموعة من الأسئلة المتنوعة حول شيء من المُنْجَز في دراسة المصطلح القرآني، واستشراف بعض آفاقه المستقبلية، علمًا أن هذا الحوار ليس إلا نافذة صغيرة للتعرف على رؤيتكم لهذا المجال العلمي الحضاري المهم.

نص الحوار

السؤال الأول: لا شك أن من يقرأ للأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي أو يستمع إليه، سينجلي أمامه بوضوح أنه صاحب رؤية علمية حضارية شاملة متكاملة لنهضة الأمة، واستعادة موقعها في الشهادة على الناس. كيف يمكن تلخيص هذه الرؤية في محاورها الكبرى؟

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة على سيدنا محمد وآله، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدًا، اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علمًا، اللهم افتح لنا أبواب الرحمة، وأنطقنا بالحكمة، واجعلنا من الراشدين فضلا منك ونعمة.

أحسب أن أول واجب على الأمة - وحديثي بصفة عامة للأمة، الأفراد هم مكونات لهذه الأمة، الأسر مكونات، الجماعات مكونات، الدول مكونات، الشعوب مكونات... في النهاية هناك الأمة الجامعة العامة التي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتصلي إلى الكعبة، وتصوم رمضان، وتحج البيت...إلخ- هذه الأمة، بصفة عامة على ما هي عليه، أحسب أنها تحتاج إلى:

أولاً:
التوبة المنهاجية النصوح:

وذلك لأن أول طريق الله عز وجل التوبة، كما قال تعالى في سورة التوبة ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْۚ...﴾ (التوبة: 5)، ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِۗ ...﴾ (التوبة: 11)، يعني: أول السير التوبة، أول الرجوع إلى الصواب يكون بالتوبة؛ لكن هذه التوبة التي أقصد ليست من ذنب معين، وإنما هي **توبة منهاجية**. ذلك بأن الأمة الآن تسير وفق مناهج ليست هي ما اختاره الله عز وجل لها، وهو ما سمَّاه، طيلة

تنزل الوحي منذ آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم- سمّاه بِهُدى الله ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه: 123).

هذا الهدى راسم لطرق السير الآمنة في الحياة كلها، كيف يسير الإنسان فيها سعيدًا غير شقي في أمره كله؛ في علاقته بربه، في علاقته بنفسه، في علاقته بالناس أجمعين، في علاقته بمختلف الكائنات...فهو هدى يرسم المنهاج الراشد للسير الراشد، في كل مناحي الحياة، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ الأنعام: 38)، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: 9).

ثم إنها **توبة نصوح جماعية**:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا...﴾ (التحريم:8) ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ...﴾ (النور: 31) أي أن تعزم الأمة كلها عزمة صادقة، أفرادًا و بيوتًا، ومجتمعاتٍ ودولًا، بجميع مكوناتها المنتشرة الآن في العالم الإسلامي، والجاليات الإسلامية التابعة لها في العالم كله، تعزم عزمة صادقة على **إعادة تصحيح الوجهة، وتصحيح القبلة، بالإنابة الى الله تعالى واتباع هداه، وترك ما عداه من مناهج الغرب الأزرق أو الأحمر، أو أهواء النفوس**...: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...﴾ (الجاثية: 23)، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ (النازعات: 41-40).

لابُدَّ من العزم على التوبة المنهاجية النصوح. لابد من رجعة صحيحة قائمة على الجد والأخذ بقوة ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ...﴾ (مريم: 12). ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 63). لأن الأمر إذا لم يؤخذ بقوة، لا يثمر ثماره المرجوة.

والأمة إن ظلت على ما هي عليه، لن تزداد إلا هبوطا وضعفا. فما سلط الله عليها الكفار في كل المعمور، إلا لأنها تركت طريق الإيمان واتبعت خطوات الشيطان. والله عز وجل يقول: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 139).

ثانيًا:
إقامة المصطلح الأصل:

أثناء تلك التوبة، يجب أن يبدأ العمل. وأول العمل إقامة المصطلح الأصل. وقد فُصّل فيه القول ضمن بحث منشور بعنوان: **«مصطلح الأمة بين الإقامة والتقويم والاستقامة»**[1]: فالأمة في حاجة إلى إقامة المصطلح الأصل قبل أي شيء آخر؛ لأن به يكون تقويم ما سواه من المصطلح الفرع، وبه يكون وزن ما سواه من المصطلح الوافد حتى يستقيم فيقبل.

والمصطلح الأصل هو مصطلح الوحي، أي مصطلح القرآن والسنة البيان، أي الألفاظ التي استعملها الله عز وجل في كتابه، وجعل

(1) دراسات مصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، دار السلام - القاهرة - الطبعة الأولى 2012م. 217 - 234.

الأمور كلها تدور عليها. هذه المصطلحات أو هذه الألفاظ ينبغي أن تُفهم جيدًا، أو بتعبير آخر ينبغي أن يُجدد فهمها، حتى يصبح كالفهم الأول الذي كان زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والتجديد بصفة عامة هو تصيير أمر ما جديدًا، وكأنه عاد إلى أصله الذي كان عليه يوم كان جديدًا. وذلك يعني أنه قد أصابه ما أصابه من أمور، لم تتركه كما كان. وهذا واقع. فلا نحتاج إلى جهد كبير لنفهم أن الأمة شردت عن الصراط المستقيم، وأنها ما بقيت على الأصل الأول. وإلا ما كان يمكن أن يكون هذا الواقع الذي لها في الأرض الآن.

فالواجب اليوم، أن تبذل الأمة أقصى الجهد، لتجديد فهم هذه المصطلحات، أي الألفاظ التي لها مفاهيم معينة، عليها بُني التصور العام لهذا الدين. فإن لم تفعل ذلك فلن تستطيع أن تعمل العمل الصالح؛ لأن الميزان ليس عندها؛ إذ الصلاح له ميزان، ولا امتلاك لذلك الميزان، إلا بعد إقامة الفهم لمصطلحات القرآن والعمل بالقرآن، كما قال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر: 33).

فقبل إقامة المصطلح الأصل، لن يكون فهم صحيح، ولا عمل صالح، ولا حياة طيبة؛ لأن كل ذلك يتأسس على الأصل الأول؛ إذ هذه الأمة خرجت من النص، هذه الأمة ليست أمة طين، ما هي بأمة عربية ولا أمة هندية ولا أمة إيطالية... هذه أمة مسلمة، أسلمت أمرها إلى ربها. هذا أصلها. اجتمعت على منهاج الله وعلى هدى الله. لا يهم مَن اجتَمَع؛ لأنه عندما يسلم، يكون له ما لنا، وعليه ما علينا. إذَّاك يصير المجموع منصهرا في بوتقة واحدة، فلا عربي ولا عجمي ولا أوروبي ولا إفريقي... الطينيات كلها لا يعود لها مكان.

كما قال القائل:

فنحن بنو الإسلام والله ربنا وأولى عباد الله بالله من شكر

فالله اختار لنا هذا الدين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾(البقرة: 132). واختار لنا لسان هذا الدين، هو اللسان العربي ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ (الشعراء: 192 - 195)، وهو ليس نسبة إلى العروبة الطينية؛ بل إن الله عز وجل اختاره من بين جميع الألسنة الموجودة في العالم، ليكون هو لسان هذه الأمة المسلمة إلى يوم القيامة، فلو جاء مسلم من الولايات المتحدة فلغته هي العربية وليست الإنجليزية، ولو أسلم هندي فلغته هي العربية ... وهكذا؛ إذ بدون اللسان العربي لا يمكنه فهم الرسالة التي جاءته من عند الله عز وجل. ماذا سيفهم؟ هل سيفهم ما قال له الترجمان؟ وما قال له الترجمان ليس هو ما قال الله تعالى، بل هو ما فهمه الترجمان من كلام الله تعالى. فجميع هذه الترجمات للقرآن الكريم في العالم ليست

قرآنًا؛ وإنما هي تفسير من التفاسير، هي مجرد فهم لأحد الدارسين للقرآن الذين يعرفون العربية. أما لسان القرآن فهو يرفض حتى الترجمة للدوارج العربية وللعربية نفسها، يصعب عليك أن تترجمه بالعربية، ينبغي أن تفهمه كما هو، وأن تذوقه كما هو. ولن تذوقه إلا إذا تمكنت من اللسان العربي، وأتقنته، وتمكنت من تذوقه.

لا بُدَّ من إقامة هذا المصطلح الأصل، أي تصييره واقعًا في أفراد هذه الأمة، وفي تجمعاتها، وفي هياكلها... طبعًا لن يحدث ذلك دفعة واحدة، سيبدأ قطعًا من الأفراد، ويتطور إلى البيوت، ثم إلى الجماعات والمجتمعات.... لكن لابد أن يسود، إذا أردنا لهذه الأمة أن تعود إلى التاريخ سائدة قائدة رائدة. وإلا فلن يكون شيء.

وهنا تأتي الجهود التي ينبغي أن تبذل لفهم هذا المصطلح الأصل، والعمل به، ولصياغة الشخصية المسلمة في مختلف جوانبها تفكيرًا وتعبيرًا وتدبيرًا. وكل ذلك وفق رؤية الوحي ومعايير الوحي.

ثالثًا: تحقيق الإمامة العلمية:

فإذا حققت الأمة التوبة المنهاجية النصوح، وأقامت المصطلح الأصل، صار لزامًا عليها تحقيق ما أسميه بالإمامة العلمية. علمًا أن هذه الأمور ينبني بعضها على بعض، لكنها لا تتوقف بل تسير أيضًا متوازية متكاملة.

إن هذه الأمة لن تصعد إلى موقع الشهادة على الناس، إلا إذا استطاعت أن تحقق الإمامة العلمية في مختلف التخصصات، وهذه الإمامة شرط كالشرط السابق، والذي قبله؛ فكلها من شروط العودة لهذه الأمة.

فمثلا قضية المصطلح والتعريب، ومن الذي يسمي مفهومًا ما بمصطلح ما؟ لا شك أن الذي يفعل ذلك هو من تمت على يده ولادة المفهوم. وإنما يُسَمِّي مَنْ وَلَدَا! والذي لم يلد شيئا ماذا يُسَمِّي؟ قصارى أمره أن يلجأ إلى الترجمة.

هذه الإمامة العلمية التي أتحدث عنها لا علاقة لها بالانتخابات والديمقراطية وما أشبه، فمثلًا: الفيزيائي المقتدر الذي تميز ببحوثه تميزًا فاق به جميع أقرانه، لا يحتاج الى الفوز في انتخابات علمية ليُشهد له بذلك. وكذلك صاحب الرياضيات، وصاحب أي علم من العلوم، إذا تفوق تفوقًا ظاهرًا سلَّم له الآخرون بذلك دون انتخابات.

إن للحق سلطانًا، والأمة بحاجة إلى هذا السلطان؛ فهو سلطة معنوية كبيرة يعطيها الله عز وجل لمن كان على حق: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (القصص: 35). فالإمامة الصحيحة تصاحبها السلطة الصحيحة، يصاحبها هذا السلطان بشكل عادي، وهو الذي يرشح الأمة ترشيحًا

تلقائيًا إلى السير في اتجاه منزلتها. وهل أمة من الغثاء يمكن أن تفعل شيئًا؟ إذن لا بُدَّ أن تظهر في الأمة النماذج العالية، وأن يظهر فيها الأئمة في مختلف العلوم والتخصصات. ولذلك على أبناء هذه الأمة الذين يمكن أن يسمعوا هذا الكلام وأن يفهموه، أن يطلبوا أعلى درجات الكمال: «منهومان لا يشبعان: منهوم في علم لا يشبع، ومنهوم في دنيا لا يشبع»[2]. فالمرشحون لهذه الإمامة ليسوا من أهل الدنيا؛ لأن المؤمنين -وحديثي إنما هو للمؤمنين- هم الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولم يقل في القرآن كله: يا أيها الذين أسلموا. بل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مؤكدًا سبحانه وتعالى ومعبرًا بالماضي (آمنوا) وليس (يا أيها الذين يؤمنون)، فقول المؤمنين: آمنا، هذا ميثاق وهو يستلزم النتيجة؛ لأن مقتضى هذا الإيمان التصديق والعمل به. فإذن هذه الإمامة هي نتيجة، والله عز وجل قال في آية أخرى في نوع معين من الإمامة - وحديثي الآن عن الإمامة العلمية باعتبارها طريقًا إلى سواها مما بعدها. قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: 24).

فهؤلاء تمثلوا تلك الشروط الأولى من التوبة النصوح وإقامة المصطلح الأصل، فجعلهم الله عز وجل أئمة. وهذا يذكرني بالتعبير القرآني: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الأنعام: 82). فالأمن لا يمكن إقامته؛ ولكن الله هو الذي يعطيه ويمنحه. اتَّخِذْ ما شئت لك من جيوش الأمن، ولكن لن تُعطَى الأمنَ، ولن تصل إلى الأمن الذي تحدث عنه الله عز وجل، ذلك الأمن المؤسس على الإيمان وحفظ الأمانات: أمن القلوب، وأمن الأرواح، وأمن الأموال، وأمن الأعراض، وأمن الحقوق، وأمن.. وأمن.. وأمن...ذلك الأمن لا يحفظه الا الله عز وجل؛ لأنه لا يعرفه الا الله عز وجل.

ليزعموا ما يزعمون. يقولون: حقوق الإنسان!! هل يعرف إنسان اليوم ما الإنسان حتى يعرف حقوقه؟ الله وحده هو الذي يعلم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: 14).

هذا، وطلب الإمامة مقصود في مختلف العلوم ومختلف التخصصات، سواء كانت علومًا شرعية، أم علومًا إنسانية، أم علومًا مادية. وفي كل واحدة منها كلام لا يتسع له المقام.

رابعًا:
تحقيق النهوض الشامل المتكامل:

وهو أيضًا ينبني على ما سبق ويستمر مع ما سبق. وعندما نقول: تحقيق النهوض! هل يمكن أن يكون نهوض مع التبعية مثلًا؟ مستحيل. هذا هو الذي نعبر عنه بمثل في لغتنا الدارجة «كَيَفْتَلْ فُمْ العْجَلْ» أي حاله كحال من يفتل شريط الدوم في فم عجل.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم 1/ 169.

كلما فتل شيئا أكله العجل!! فإذا انتهى من الفتل لم يجد شيئا إلا العجل!!

هذه هي القصة، والأمر في حقيقته بسيط، ولكنه أيضًا كبير ومتشعب، وضارب في جميع جزئيات الحياة.

هذا النهوض يبدأ بسريان روح جديدة: بدأت التوبة المنهاجية النصوح في الأمة، وسرت روح القرآن، روح الوحي في الناس، وبدأوا يتحركون في اتجاه التعارف والتآلف والتعاون على البر والتقوى. أي بدأت الحياة تدب في الكيان العام الذي بقي فيه رمق ما، ثم بدأ التحرك بقوة وثبات في مختلف المجالات، ووصل إلى الإمامة العلمية في عدد من التخصصات في مختلف المجالات. تلقائيًا إذاك سينهض قائمًا هذا الكيان، ولن يبقى طريح الفراش كما هو الآن.

ذلك النهوض ينبغي أن يكون شاملًا، وينبغي أن يكون متكاملًا. ليس نهوضًا في جانب والجوانب الأخرى مهملة، فهذا لا يستقيم؛ لأن الأمر هو في وضع الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. فإن المرض يؤثر والصحة أيضا تؤثر. إذا جاء الخير لا يسلم الجهاز الذي كان مريضًا فحسب، بل تسلم الأجهزة الأخرى أيضًا بالتبع، ويتحسن الحال بصفة عامة.

ثم ينبغي أن يكون متكاملا فيما بينه؛ يخدم بعضه بعضًا ويتعاون معه، ولا يتعارض بعضه مع بعض أو يكون ضده.

والأمر هنا منظور فيه إلى الأمة، إذا ظهر فيها ما سبق التنبيه عليه، وبدأ الاتجاه إلى إضعاف الطينيات وتقوية الدينيات بصفة عامة، فإن النهوض الشامل المتكامل يكون تلقائيًا في مختلف المجالات.

خامسًا:
الشهود القوي الأمين:

بعد النهوض يأتي الشهود ليقوم الناس بالقسط.

والشهادة على الناس تقتضي الشهود القوي الأمين. وفي القوة يدخل كل ما يمكن أن يدخل في القوة. وفي الأمانة يدخل كل ما يمكن أن يدخل في الأمانة.

وفي انتظار ذلك ينبغي إعداد الأمة لذلك، إعدادًا كاملًا شاملًا، تفكيرًا وتعبيرًا وتدبيرًا. وبالله التوفيق.

السؤال الثاني: يُفهم مما سبق - فضيلة الدكتور- اعتناؤكم الخاص بالمصطلح في جميع العلوم؛ لكن يلحظ اهتمامكم الأخص بمصطلح القرآن الكريم الذي هو المصطلح الأصل، فما المقصود بالمصطلح القرآني؟ وما السر في هذا الاهتمام؟

للانطلاق الصحيح في اتجاه المستقبل نحتاج إلى معرفة الذات، ومعرفة الذات لها مدخل واحد وحيد هو التراث. إذ الذات هي التراث، وكل الأسئلة عن تلك الذات يجيب عنها

التراث. ما شخصيتها؟ ما كسبها التاريخي؟ ما قيمتها؟ كل ذلك يجيب عنه التراث.

ولا سبيل إلى الدخول إلى التراث بغير مصطلحاته. وأثمن تراث ورثناه الوحي ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ (فاطر: 32).

فإذا أردت الدخول إلى عالم الوحي، تحتاج إلى دراسة مصطلحات الوحي. وإذا أردت أن تدخل إلى عالم العلوم منذ ظهور هذا الدين حتى اليوم، تحتاج إلى دراسة مصطلحات العلوم؛ فالمصطلحات هي «مفاتيح العلوم» في جميع الأمصار والأعصار. وهي حاليًا فيها إشكال كبير؛ ذلك بأن الأمة اليوم لا تلتفت غالبًا إلى ما طرأ على مصطلحاتها من تطورات في الدلالة عبر التاريخ، فينتج عن ذلك الإسقاطات الكثيرة للدلالة المعاصرة على الألفاظ القديمة، فلا نفهم ما كان يراد بالمصطلحات في زمانها، وإنما نفهم منها ما يفهم اليوم.

لا بُدَّ إذن من دراسة تلك المصطلحات، لتأمين الفهم الصحيح الذي عليه ينبني التقويم الصحيح، فالتوظيف الصحيح؛ ذلك بأن التراث -بقطع النظر عن الوحي الذي هو الأساس الذي به يُقوم حتى التراث- فيه جوانب مضيئة، فيه أشياء كثيرة مهمة جدًا، يحتاجها أبناء الأمة اليوم في النهوض؛ ولكن كيف يفهمونها؟ وهذه معضلة المصطلح. ثم كيف يصلون إليها؟ وهذه معضلة النص.

فهناك نصوص كثيرة غائبة الآن ولا تزال مخطوطة؛ أي هناك إشكالات كثيرة لدى الأمة، وعندها عوائق ليست بهينة في الوصول إلى ذاتها، ومعرفةِ ذاتها، للاستفادة من ذلك في وقود النهوض للشهود فالشهادة على الناس.

أما لماذا المصطلح القرآني خاصة؟ فلأنه الأصل، ولأنه هو المصطلح الذي به بُني كل شيء، وعليه دار كل شيء، وبه يُقوم ويَقوم من جديد كل شيء.

ففي مختلف العلوم نحتاج أولًا أن نحل معضلة النص، وهذا منهجيًا يقتضي أن يتم البدء به؛ لأنه السابق. وحضوره في العلوم الشرعية واضح للجميع، وحضوره في العلوم الإنسانية والعلوم المادية سيتضح بعد أن يكثر الاهتمام بالرصيد الذي للأمة في ذلك. وذلك بعض واجبات الجامعات ومراكز البحث ومؤسساته.

السؤال الثالث: إذن هناك رصيد ثري لهذه الأمة في جهودها لخدمة الوحي ومصطلح الوحي؛ فكيف تنظرون إلى تلك الجهود؟

هذا الأمر يحتاج إلى معرفة التاريخ العلمي للأمة؛ فمن لم يخبر هذا التاريخ لن يرى الإشكال، بل ربما يتعجب لماذا هذا؟ فالأمة في قرنها الأول أي في المئة الأولى، لم تحتج إلى شيء من هذا؛ لأنها كانت تعيشه. ولكن

مباشرة في آخر ذلك القرن بدأ الانحراف، وبدأت زوايا هذا الانحراف تكبر مع الزمن، وبدأت العلوم نفسها تضع العوائق في طريق فهم المصطلح القرآني؛ لأنها قد تضع أشياء بدلا منه وتتجاوزه، وقد تُضخمه أو تُصغره، وقد تضخم جانبا منه وتصغر جوانب أخرى...

خذ مثلًا مصطلح الإيمان؛ كان هو المستعمل في المئة الأولى، وحافظ على استعماله عدد من العلماء عبر القرون، دالا على قضايا الغيب الكبرى، ثم سارت الأمة في دروب أخرى وابتكرت لنفسها مصطلحات أخرى نافست الإيمان ضربا من المنافسة، كمصطلح التوحيد ومصطلح العقيدة، ومصطلح الكلام ومصطلح أصول الدين... ونحو ذلك، وتركت اللفظ القرآني جانبًا، مع أن المصطلح القرآني هو وحده الذي يعبر عن المراد، والألفاظ الأخرى كلها تُبعد عن المراد بوجه ما.

لقد بذلت الأمة جهودًا كبيرة واشتغلت بالألفاظ القرآنية كثيرًا، وحاول المفسرون والمعجميون أن يحلوا الإشكال، وبذلوا جهودًا تذكر فتشكر. ولكن الإشكال كان في المنهج الذي به يمكن ضبط المراد وضبط المفهوم؛ ففي كتب الوجوه والنظائر مثلًا تجد للفظ القرآني معاني متعددة، يضيع بها المراد ويتشتت بها المفهوم. نعم هناك جهود متميزة لكنها محدودة، كجهد الراغب الإصفهاني في «المفردات في غريب القرآن»؛ إذ اهتم بخصوصية الدلالة القرآنية كثيرًا، وكبعض الجهود الحديثة أو المعاصرة مثل جهد الشيخ عبد الحميد الفراهي في «مفردات القرآن»، وجهد الشيخ حسن المصطفوي في «التحقيق في كلمات القرآن الكريم»، وجهد الدكتور محمد حسن حسن جبل في «المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم».

لكن الإشكال المنهجي يبقي قائما؛ إذ إن تلك الجهود لم تتجه الوجهة التي يكون فيها تتبع المفهوم من كل جوانبه بالاستقراء التام، والتتبع التام للفروع، وأشكال النمو الداخلي والخارجي، وغير ذلك من العناصر التي يتكون منها المفهوم، أو تؤثر في المفهوم، أو يرتبط بها المفهوم. هذه الطريقة في دراسة المفهوم لم تفعل قبل؛ لأن الاهتمام كان مركزا على التعريف. وهناك فرق شاسع بين تعريف المصطلح ودراسة مفهوم المصطلح؛ فالتعاريف ما هي إلا عناوين كبيرة، منها يكون الدخول إلى عالم المفاهيم وامتداداتها وأنساقها الجزئية والكلية في القرآن الكريم.

وعموما فإن تلك الجهود التي بذلها السابقون -جزاهم الله تعالى خيرًا- لها قيمة كبيرة في الاعتبار، ولكن لا ينبغي أن يكون عليها الاقتصار.

السؤال الرابع: بناء على ذلك، ودائمًا في إطار الاهتمام بالمصطلح الأصل وحاجة الأمة إليه، يلاحظ من خلال مجموعة من كتاباتكم ومحاضراتكم الإشارة إلى خصوصية المصطلحات القرآنية ونسقيتها الجزئية والكلية، وأن هناك معجمًا للقرآن الكريم، وأن القرآن الكريم يحمل معجمه ويحمي معجمه، كيف يمكن تحديد تلك الخصوصية؟ وكيف يمكن الكشف عن ذلك المعجم المفهومي؟

كلام الله تعالى متفرد في كل شيء كتفرد الله تعالى في كل شيء؛ ومن ثم فنسقيته ليست كبقية النسقيات، ومصطلحاته ليست كبقية المصطلحات؛ ولكن الجديد قبل ذلك هو في المفهوم ذاته، قبل أن تربطه بأي نسق، فهو في حد ذاته جديد؛ لكن بشرط أن يدرس بحقه، أعني بأن ينزل فيه المنهج التنزيل الصحيح، فإن فُعل ذلك أمكن الوصول إلى أشياء في غاية الأهمية وغاية الطرافة، وقد تُحسم بها مشاكل كثيرة.

أما كيف يمكن الكشف عن ذلك المعجم المفهومي؟ فذلك لا يمكن إلا بدراسة المفاهيم القرآنية كلها حتى تصير معجمًا مفهوميا؛ لأن المعجم الذي نتحدث عنه ليس معجمًا لغويًا، وليس معجمًا يُعنى بالألفاظ فقط؛ وحين ننظر إلى المناهج القديمة والمعاصرة التي تعاملت مع ألفاظ القرآن الكريم، ثم ننظر إلى منهج الدراسة المصطلحية الذي يقصد إلى إقامة المصطلح الأصل، نجد الفرق واضحًا بينه وبين تلك المناهج؛ فهي ما كانت بصدد دراسة الألفاظ القرآنية لدراسة المفاهيم، ومن ثم لم تهتم بخصائصها، ولا بعلاقاتها، ولا بضمائمها، ولا بمشتقاتها، ولا بقضاياها... بشكل شامل متكامل.

فالمفاهيم كيانات معنوية وكيانات مضمونية، يُتوصل إليها بتتبع عدد من الجوانب في استعمالات المصطلح داخل النصوص. والتعريف هو مجرد عنوان وباب للدخول إلى المفهوم. فمنهج الدراسة المصطلحية يتيح أمورا لا يتيحها سواه؛ لكن يبقى الأمر متوقفًا على النتائج، وذلك يكون بظهور بحوث تطبيقية تجلي ذلك المنهج بمقاصده وآفاقه. وعسى أن يكون ذلك بتوفيق من الله عز وجل قريبًا.

السؤال الخامس: عقدت مؤسسة (مبدع) مؤتمرًا خاصًا في موضوع: «المصطلح القرآني وعلاقته بمختلف العلوم»، وقد تأسس المؤتمر على تصنيفكم الخاص للعلوم: (العلوم الشرعية، والعلوم الإنسانية، والعلوم المادية) بهذا الترتيب، فكيف ترون موقع المصطلح القرآني وامتداداته في هذه العلوم؟ وكيف ترون تجديد هذه العلوم بناء على ذلك؟

سبقت الإشارة إلى معنى التجديد عمومًا. أما بخصوص العلوم الآن، فالواقع أنها شردت عن الأصل. وهي بهذا التصنيف العام والترتيب الخاص: العلوم الشرعية أولًا، ثم العلوم الإنسانية ثانيًا، ثم العلوم المادية ثالثًا.

فأما العلوم الشرعية فهي في هذه الأمة بقيتها عند بقيتها، أي ما تبقى من تلك العلوم هو عند من تبقى من العلماء.

وأما العلوم الإنسانية والعلوم المادية فتكاد تستقل بها الأمم الأخرى، خصوصًا مع إهمال ما له صلة بذلك في تراث الأمة، لا يُعرف، ولا يُدرَس، ولا يُدَرَّس، ولا يَعرف بعضه إلا بعض الباحثين.

والسؤال هو: ما موقع تلك العلوم مطلقًا بالنسبة إلى الوحي؟ بالنسبة للعلوم الشرعية هي أصلًا مستنبطة من الوحي. وهي تحتاج إلى **تجديد**. وتجديدها يكون بتصحيح ما وقع فيها من شذوذ أو شرود عن الأصل، وبتكميل ما يحتاج منها الى تكميل.

وبالنسبة للعلوم الإنسانية تحتاج -إن صح التعبير- إلى **أسلمة**: لأنها أُسست وبُنيت وفُعلت...خارج دائرة الأمة، فتحتاج إلى أن تعود إلى الأصل، لينظر إليها وإلى آثارها بمنظار الوحي.

فالتربية والاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها...كلها للوحي والشرع فيها نظر، وإن لم يكن مفصلًا غالبًا؛ ولكنه موجود بكلياته وقواعده ومقاصده. وينبغي أن يكون التفصيل فيها غير شارد عن الإجمال، ولا خارج عن دائرته؛ إذ المقاصد والتوجهات العامة مبينة، ولا بُدَّ أن تكون تلك العلوم محكومة بكل ذلك، وأن يعاد بناؤها جملة على أساس رؤية صحيحة لهذا الدين. وهذا لا يكون إلا بالإمامة التي تحدثنا عنها، وهي التي نبتت نباتا طبيعيا في الأمة.

ثم هناك العلوم المادية التي تحتاج إلى **أنسنة**: وذلك لأنها شردت عما ينفع الناس ويمكث في الأرض، وغلب عليها التدمير بدل التعمير، فلذلك ينبغي أن تعود إلى خدمتها لبني آدم.

خلاصة النظر إلى العلوم، أنها لا ينبغي أن تشرد عن رؤية الهدى الرباني، لتبقى خادمة للناس منسجمة مع ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:30).